# "المشروع النهضوي التغييري عند بديع الزمان سعيد النورسي"

**إعداد الأستاذ:**

**شنافي محمد**

**جامعة تلسمان**

يقول النورسي: "أن التفكير نور يذيب الفطنة الباردة الجامدة، والدقة تحرق الأوهام المظلمة اليابسة، ولكن اذا تفكرت في نفسك فدقق وتمهل وتغلغل وفصّله تفصيلا بمقتضى الاسم ' الباطن المتعمق، اذ كمال الصنعة اتم في تحليله وتفصيله " (1).

بعد سقوط الخلافة العثمانية،هوّت الأمة الإسلامية في فراغ رهيب متعدد الطبقات المظلمة، المغلفّة بحجاب الجهل، هذا الوضع ألهم العديد من المصلحين والمفكرين عبر المشارق والمغارب تنظيرا وصياغة لمشاريع نهضة تتجاوز العوائق والصعوبات، وتؤسس برامج ايقاظ للهمم والنفوس، وتوضح المبادئ الواجب التشبث بها والخطوات اللازم السير عليها لاقتفاء آثار السابقين واستقراء تجارب الماضين واستلهام متطلبات اللاحقين، تحقيقا للمقاصد والغايات. من بين الملهمين فكريا وعمليا الفيلسوف المصلح "بديع الزمان سعيد النورسي " الذي بنى فكره التغييري على القاعدة الايمانية التوحيدية المؤطرة لجميع المجالات النهضوية الحضارية لذاتية الامة، مركزا على أن كل مشروع إصلاحي لا يتأسس على الإيمان التحقيقي مآله الفشل والانعدام، أي أن الرجوع إلى الله عز وجل جوهر الانطلاق والتجديد، معتمدا على منهج الجمع والتطبيق والاستنباط، فما هي حقيقة المشروع الذي صاغه العالم سعيد النورسي؟ وما الأسس التي بنى عليها مشروعه؟ وهل كان نسخة طبق الأصل للسابقين من العلماء والدعاة ام كان مشروعا تجديديا تأصيليا؟ وان كان ينزع إلى التجديد ففيم تتمثل ملامحه؟ وهل استطاع أن ينزل مخططه من الطابق العلوي التنظيري الفكري إلى الواقع العملي التطبيقي؟

## من هو سعيد النورسي؟

ولد سعيد النورسي في قرية (نُورس) الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام1294) هـ1877 – م) من أبوين صالحين كانا مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح ونشأ في بيئة كردية يخيم عليها الجهل والفقر، كأكثر بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين. وإلى قريته (نُوْرس) يُنْسَب .(2)

**علمه:**

وقد بدت عليه أمارات الفطنة والذكاء منذ طفولته، ولما دخل (الكُتَّاب) وتتلمذ على أيدي المشايخ والعلماء بهرهم بقوة ذاكرته، وبداهته، وذكائه، ودقّة ملاحظته، وقدرته على الاستيعاب والحفظ، الأمر الذي جعله ينال الإجازة العلمية وهو ابن أربع عشرة سنة بعد أن تبحّر في العلوم العقلية والنقلية بجهده الشخصي، فقد حفظ عن ظهر غيب، ثمانين كتاباً من أمّات الكتب العربية كما حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من حياته الخصبة الحافلة .

كما عكف على دراسة عقله وفكره من بعض الأسقام التي أورثتها إياه مداومة النظر في كتب العلوم العصرية، أو العلوم الكونية الطبيعية، (رياضيات، وفلك، وكيمياء، وفيزياء، وجيولوجيا) والجغرافيا والتاريخ والفلسفة الحديثة وسواها من العلوم، حتى غدا عالماً فيها، ومناظراً فذاً للمختصين بها، صار له رصيد ضخم من المعلومات، مكّنه من الانطلاق من مرتكزات علمية سليمة .

كان طالب العلم سعيد النورسي شديد الاحتفال والاشتغال والتعلّق بالفلسفة والعلوم العقلية، وكان لا يقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدها، كأكثر أهل الطرق الصُّوفية، بل كان يجهد لإنقاذ مع القرآن الكريم:

**سفة .**

في عام 1894 تناهى إلى سمعه أن وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) وقف في مجلس العموم البريطاني، وهو يحمل المصحف الشريف بيده، ويهزّه في وجوه النواب الإنكليز، ويقول لهم بأعلى صوته :

"ما دام هذا الكتاب موجوداً، فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان، لذا، لا بدّ لنا من أن نعمل على إزالته من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به ."

فصرخ العالم الشاب سعيد النورسي من عمق أعماقه :

"لأبرهننّ للعالم أجمع، أن القرآن العظيم شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها ."

ورأى النّورسيُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وسأله أن يدعو الله له: أن يفهّمه القرآن، وأن يرزقه العمل به، فبشّره الرسول الكريم بذلك، قائلاً له: واستعمل الأدوات التالية في التبليغ **عن رسالته** عاصر بديع الزمان المرحلتين المتناقضتين العثمانية والكمالية الاتاتوركية ووعى الداء، وعرف الدواء، فتسلّح بالعلم والإيمان والإخلاص، ثم انطلق يجوب المدن والقرى والأقاليم التي كانت تابعة للدولة العثمانية، وقابل السلاطين والوزراء ورجال الحكم والإدارة، وطالبهم بالإصلاح، وبتحمل مسؤولياتهم تجاه الأمة والوطن، كما دعا أبناء الشعب إلى اليقظة والنهوض من الهوّة السحيقة التي تردّوا فيها منذ زمن، فتعرض لما تعرّض له من بلاء السجن والتعذيب والنفي، والملاحقة والمطاردة والتضييق عليه وعلى تلاميذه طلاب مدرسة النور دون أن تلين له قناة، أو تضعف له عزيمة، أو تخور له إرادة، وكان لرسائله وخطبه ومواعظه ومرافعاته ومقالاته الصحفية، آثارها في نفوس الناس، فقد عرّى الدعاوى العلمانية، وفضح أهداف القوميين والبلاشفة والماسون، وصحح الفكرة المشوّهة عن الإسلام ونبيّ الإسلام، عن طريق رسائل النور التي انتشرت في أنحاء تركيا، فانبثقت عنها صحوة فكر.

وقد استثمر الأستاذ النورسي كل الوسائل المتاحة، من اتصالات شخصية، إلى الخطب والمواعظ والمحاضرات في المناسبات المختلفة، إلى الكتابة في الصحف، إلى تأليف رسائل النور التي كانت وما تزال- دروساً قرآنية توافق أفهام هذا العصر، وكانت كل رسالة منها هي سعيد النورسي نفسه، كما قال في (كلماته).(3)

وكان يكتب (المكاتيب) أي الرسائل الشخصية إلى تلاميذه وإلى الهيئات الإسلاميّة وغير الإسلامية، ويجيب بها سائليه، كما كان يكتب الرسائل إلى الحكام والعلماء والوجهاء، ينصحهم حيناً ويأمرهم وينهاهم حيناً آخر. ويضم مؤلفه الضخم " رسائل النور " وهو تفسير للقرآن الكريم في الأجزاء – مجلدات – التالية وهي:

– الكلمات – المكتوبات – اللمعات – الشعاعات – إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز (كتب باللغة العربية) – المثنوي العربي النوري – الملاحق في فقه دعوة النور – صيقل الإسلام (آثار السعيد القديمة) – السيرة الذاتية (سعيد القديم وسعيد الجديد)، توفي رحمة الله عليه توفي سعيد النورسي في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة 1379 هـ الموافق 23 آذار 1960م فدفن في مدينة أورفة. ولكن السلطات العسكرية الحاكمة لتركيا لم تدعه يرتاح حتى في قبره إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بهدم القبر ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة وبعد أن أعلنوا منع التجول في مدينة أورفة. فأصبح قبره مجهولا حتى الآن لا يعرفه الناس. حتى لا يتحول إلى مزار للناس أو يتخدونه مكانا مقدسا يحج إليه ا لمؤمنون.

**منهجه:**

يشبه بديع الزمان منهجه (بعصا موسى) أينما يضرب تفتق ماءا، يختلف عن منهج الفلاسفة، كل طرف له طريقته الخاصة، حيث يقول في رسائله "أني احضر أيمنا كنت فيخرج الماء، وهو تشبثوا بوضع ميازيب وأنابيب لمجئ الماء من طرف العالم ويسلسلون سلاسل وسلالم إلى ما فوق العرش لجلب ماء الحياة، فيلزم عليهم بسبب قبول السبب وضع ملايين من حفظة البراهين في تلك الطريقة الطويلة لحفظها من تخريب شياطين الأوهام. وامّا ما علّمنا القرآن فما هو الا ان أعطينا مثل "عصا موسى" أيمنا كنت ولو – على الصخرة – اضرب عصاي فينفرج ماء الحياة، ولا احتاج إلى السفر الطويل إلى خارج العالم، وتعهد الأنابيب من الانكسار" (4)أي يتبع منهجا الهاميا لدنيا يهبه الله من يشاء.

يشير أولا مفكرنا بديع الزمان النورسي إلى المطبات التي تمنع أو الموانع التي تحيل دون بلوغ النهضة المرجوة في العالم الإسلامي، وشخّص تلك الموانع في ثمان وهي: – الجهل – التعصب – التقليد – الاستبداد المتنوع – سوء الخلق – الأحوال المضطربة – اليأس – التوهم بوجود تناقض بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم، وهي العوائق بالمعنى الابستولوجي التي أوردها فيما بعد الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار" وهي تقف حدا منيعا أمام أي تغيير أو إحداث تخلخل في التراكيب الموجودة ( العقلية والنفسية والمعرفية المنهجية ) والأنسجة السوسيولوجية – الاجتماعية – بالإضافة إلى المعايير القيمية الأخلاقية. ويتصف منهجه بالخصائص أو الميزات التالية، التي ينفرد بها عن بقية الكوكبة من المصلحين والدعاة والمفكرين.

**الميزات الأساسية:**

يتميز المنهج الدعوي عند العالم التركي بديع الزمان بميزات وخاصيات ينفرد بها عن بقية المناهج الدعوية عند العلماء والمصلحين قديما وحديثا، ولعل السبب الرئيسي انه اعتمد على مصدر واحد – كتاب واحد – وهو القرآن الكريم، بخلاف الآخرين الذين نهلوا من المصادر والمراجع الداخلية والخارجية، الدينية والدنيوية، المتقدمة والمتأخرة، وتتمثل تلك الخصائص التي أوجزها الدكتور عبد الله الطنطاوي فيما يلي:(5)

1 – التدرج في الإصلاح والدعوة إلى التغيير. فإن النورسي يدعو إلى تغيير اجتماعي منظم، يتمسك بقانون التطور الفطري التدريجي، ويجب أن يبدأ من القاعدة، ويصعد إلى القمة، لا العكس، لأن العكس سيؤدي إلى زعزعة الحياة الاجتماعية

ويحصل منه شر مستطير، وتخريب كبير".حيث قال ""إذن فلا بدّ أن يكون قانون التغير في حياته هو التغير التدريجي، حتى لا يختلّ توازن الحياة، فيؤدي إلى نتائج عكسية

2 – وكان منهجه في الإصلاح والتغيير يقوم على الوسطية، وعدم التعصب أو المغالاة في التحيز. يقول الأستاذ النورسي:

"أيها العالم الإسلامي، إن حياتك في الاتحاد.

إن كنت طالباً للاتحاد، فاتخذ هذا دستورك.

لابد أن يكون "هو حق" بدلاً من (هو الحق)

إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه:

"إن هذا حق" ولا أتعرض لما عداه، فإن يكن جميلاً فمذهبي أجمل.

بينما لا يحق له أن يقول في مذهبه:

(إن هذا هو الحق، وما عداه باطل، وما عندي هو الحسن فحسب، وغيره قبيح وخطأ).

إن ضيق الذهن وانحصاره على شيء، ينشأ من حب النفس، ثم يكون داء، ومنه ينجم النزاع".

3– وكانت دعوته شمولية، تحاول أن تكون مكافئة للقوى الثقافية المعادية، لأن المدّ الإلحادي في تركيا كان يشمل جميع جوانب الحياة، وكان يركّز على الأصول والكليات في الإسلام، قبل الفروع والجزئيات، ولذلك جاءت دعوة النورسي متّسمة بسمة الشمول والكلية(7")وانطلاقاً من هذا الشمول فقد سار في الخطوط العامة المتوازية في دعواته، حيث إصلاح الفرد، وإصلاح البيت، وإصلاح المجتمع، وإظهار الحقائق بإزالة اللبس لدى طلاب النور، وتفنيد شبه العلمانيين الملحدين، وشبه غير المسلمين، وكشف الحقيقة حول دعوته لدى المسؤولين، وفي دفاعاته في المحاكم، وإظهار الحقائق حول الأفكار السائدة في تركيا على زمانه، وبذل مساعيه المضنية لأجل عودة الخلافة الإسلامية.

ولم يقصر الدعوة على جانب معرفي معين، بل كانت شاملة لجميع العلوم والمعارف التي شملها الإسلام. يقول عن الرسائل التي هي مرآة دعوته:

4 – وكانت دعوة عالمية، وليست إقليمية.. كان يحث على ترجمة رسائله إلى اللغة العربية، وإلى اللغات الأخرى التي تنطق بها سائر الشعوب الإسلامية، بل وغير الإسلامية، من أجل التبشير بأفكاره وتعاليمه المنبثقة من القرآن والسنة، وكان يأمل أن يقوم علماء من الأزهر أو من بلاد الشام بترجمتها إلى اللغة العربية، كما أوفد أحد طلبته إلى العراق ومصر من أجل هذا الغرض.حيث يقول"إنني أنتظر من العرب أن يوحّدوا صفوف المسلمين، ويعيدوا إلى الإسلام سالف عهده، وأملي كبير بأن الأجيال القادمة سوف تعيش اليوم الذي يمتدّ فيه الإسلام إلى شتى أنحاء العالم." ويدحض القومية

"وكذا العرب قد سرى الإسلام فيهم، فلا يمكنهم الانفصال عنه والانفصام، فلا معنى للعرب ولا مكانة إلا إذا اقترنت عروبتهم بإسلامهم. فالقومية خطر عظيم"(

**مخطط النورسي**: وضع المصلح سعيد النورسي مخططا مرجعا لإصلاح النفوس والعقول والجماعات يعتمد على الخطوات التالية والتي صاغها الدكتور محمد عبد الحميد من جامعة بغداد – العراق – (6)فيما يلي:

1- العودة إلى القرآن الكريم: يقول النورسي إن هناك طرائق كثيرة وسبل عديدة للوصول إلى الله تعالى، ومورد جميع الطرق الحقة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم. إلا أن بعض هذه الطرق اسلم من بعض واعم، وقد استفدت من فيض القرآن الكريم – بالرغم من فهمي القاصر – طريقا قصيرا وسبيلا سويا هو: طريق الفقر، العجز، الشفقة، التفكر(7) وكلها كرق تؤدي إلى الله عز وجل، ويدعو إلى قراءته وإعادة قراءته والتي تحتوي ثلاث قراءات وهي:

- قراءة الكون الرحيب من خلال تجليات أسماء الله الحسنى،
- وقراءة القرآن الكريم في ضوء تلك القراءة،
- وقراءة سيرة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم

2- منهج التغيير يبدأ بالبنى التحتية: ( المعنوية والمادية ) ومفاده إن إصلاح الأعماق يؤدي إلى وحدة العقيدة ووحدة الأفكار، الصف، القلب، يقطة العقل واستقرار الأحوال عكس الفراغ الداخلي المتمثل في ضعف الدين، انحراف العقل، خواء الروح، اضطراب الأحوال والهزائم النفسية التي يستغلها اللادينيون اشد الاستغلال في الاستحواذ على عقول الناس والنفاذ في المجتمع

3- تجديد أسلوب الدعوة: ويقصد به عدم الدخول في صراعات وصدامات مع بقية التيارات الإسلامية، وتركيز الدعوة على اللادينين – الملحدين – باتباع الحكمة والشفقة والرحمة وإنقاذ الإيمان، ويمقت القوة الغضب والثأر للنفس وتكفير الآخرين ( فرقة لأخرى وطرف لآخر )،

''إن واجبنا نحوهم طلب الهداية لهم فحسب، فلا يرد في قلب أي طالب من طلاب النور الثأر ولو بمقدار ذرة، بل أوصيهم دائما مقابل ما لاقوه من العنت الثبات في خدمة رسائل النور والوفاء بها.'' ويشير في موضع آخر مفسرا الآية الكريمة " لا يضركم من ضل إذا اهتديتم " إن ضلال الآخرين لا يضر هدايتكم، فلا تشتغلوا بها، وتأملوا في الدستور المهم من دساتير أصول الشريعة ( الراضي بالضرر لا ينظر له ) أي لا ينظر بعين العطف والشفقة لمن رضى بنفسه الضرر، ولا بد أن نعد كل ما هو خارج عنها أمورا لا تعنينا بشيء، فلا نضيع وقتنا بها (7).

- إنقاذ الجيل من التصوف المنحرف: دعا الإمام الجليل النورسي إلى إنقاذ الشباب من براثن الصوفية المنحرفة التي قادت الأجيال إلى الركون والسكون تحت مظلة السير إلى الله تعالى والتقرب إليه، وإن التصوف يعد تجربة ذاتية لا يستطيع أن يقود حملة الصراع الحضاري ويصد الهجمات اللادينية المادية الحديثة الآتية من الغرب

قال النورسي: ''لقد كنت أقول أن هذا الزمان ليس زمان الطريقة فالبدع تحول دون ذلك، مفكرا في حقائق الإيمان وحدها. ولكن الزمان أظهر أنه يلزم لكل صاحب طريقة بل الألزم له أن يدخل دائرة رسائل النور التي هي أوسع الطرق.''(8)

5- التعامل مع المجتمع وحدة متجانسة: الجهاد في دعوته التجديدية يكون موجها إلى العالم الخارجي، بينما الجهاد الداخلي يقوم على الدعوة والعلم والبذل والنصيحة لإعادة المسلمين على حيقيقة دينهم حسب قانون التدرج الكوني إذن ينبذ التفرق والتشتت بين الشرائح والفئات المشكلة للنسيج الاجتماعي

6- التعامل مع الغرب قاعدته الحجة: النبراس الذي يدعو إليه عالمنا الحكمة والمقارعة الحجة بالحجة وليس بقوة السيف " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " ومن مزايا هذا المسلك انه:

– يثبت الإيمان عن طريق نتائج العلم الذي يفهمه الغربيون.

ب – ينقد مساوئ الحياة الغربية ومناوأتها للدين.

ج – يرد الاعتراضات الفكرية على الدين والتي خرجت أساسا من الغرب.

د – يضع نظما فكرية في المجالات التي يفهمها الغربيون.

4– الاهتمام بتوجيه الأمة إلى التفوق العلمي:

**أهدافه:**

من مزايا رسائل النور انها عروة وثقى كما يعتبرها النورسي، أي سلسلة قوية لا تنقطع، وهي حبل الله، غمن استمسك بها فقد نجا، لانها برهان باهر للقرآن الكريم وتفسير قيم له، وبطبيعتها تختلف عن بقية المؤلفات، مصدرها القرآن، لا ترجع إلا إلى القرآن، لم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تاليفها، هي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم، فهي تنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة، وأهميتها نابعة من أهمية الزمان نفسه ومن شدة الهدم الذي أحدثه هذا العصر في الشريعة المحمدية والشعائر الاحمدية، ومن فتنة آخر الزمان، ومن كيد الملحدين واليهود الذين يكيدون للإسلام ولا ينامون، هذه الصبغة الأساسية التي وصفها به بديع الزمان مؤلفه ومن ورائه تحقيق مجموعة من الأهداف.(9)

وكان الهدف الرئيس للأستاذ –رحمه الله تعالى– إنقاذ الإيمان، ليعود الناس إلى دينهم، ويقيموا بيوتهم ومجتمعهم ودولتهم على الإسلام، يقول الأستاذ:

"إن غايتي إصلاح الأسس التي يُبنى عليها الإيمان، فإذا أصبح الأساس صلباً قوياً، فلا يؤثر فيه مؤثر بعد، حتى الزلازال.."(10)

وكذلك– القضاء على الجهل بنشر العلم، وتعميم المدارس والجامعات في أنحاء الدولة، ولم يأل جهداً في ذلك، فقد اتصل بالسلطان عبد الحميد وحاور وزير داخليته، من أجل إنشاء جامعة في شرقي الأناضول، تكون على غرار الجامع الأزهر، ثم اتصل من بعده بالسلطان محمد رشاد، من أجل هذه الغاية، ولكنه لم يفلح، مع أنه قدّم بين يدي السلطانين دفوعاً مقنعة، وبيّن مصلحة الدولة والأمة في ذلك، ثم عاود المطالبة أيام الكماليين، وبقيت جامعة الزهراء حلماً يداعب خياله طوال عمره

كما دعا إلى الأخذ بالعلوم الحديثة، وتدريسها إلى جانب العلوم الدينية، ولم يرفضها لأنها جاءت من أوربا، لأن الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحقّ بها فيلتقطها. وعدّ الجهل من ألدّ أعداء الأمة.

إلى جانب الفقر والاختلاف والاستبداد، وكان يرى أن العلم كفيل بالقضاء على هذه الأعداء الثلاثة.

ولهذا رأيناه يتبحر في مختلف العلوم الدينية والكونية، ويؤلف ويكتب ويحاضر، ضارباً بنفسه وبإخوانه العلماء والمتعلمين أروع الأمثال في التعلق بالعلم، وبالدعوة إليه.

– القضاء على الفقر، عن طريق العمل والكسب الحلال، وعن طريق العلم.

– القضاء على الاستبداد، بالدعوة إلى الشورى، وتحكيم شرع الله والقرآن الذي ينص على الشورى (وأمرهم شورى بينهم) ويأمر نبيّه الكريم بمشاورة أصحابه: (وشاورهم في الأمر). والعلم والإيمان كفيلان بالاستبداد والمستبدين.

ظهر هذا في مقالاته في الصحف، وفي مقابلاته مع رجال الإدارة والحكم، وفي تجواله بين الناس، وأحاديثه معهم.

– الدعوة إلى وحدة المسلمين أو اتحادهم، ونبذ الخلافات فيما بينهم، تمهيداً لتحقيق هدف عظيم، هو عودة الخلافة الإسلامية التي قضى عليها الكماليون العلمانيون. يقول النورسي، موجهاً كلامه إلى طوائف الأمة:

"إن لم تزيلوا هذا النزاع، فإن الزندقة الحاكمة الآن حكماً قوياً، تستغل أحدكما ضد الآخر، وتستعمله أداة لإفناء الآخر(11).

وكان دائم الهتاف:

"أيها العالم الإسلامي. إن حياتك في الاتحاد" وإن موتك في الفرقة والاختلاف.

لأنه كان يرى أن من أهم أسباب ضعف المسلمين وتأخرهم، هذه الفرقة وهذا التمزق الذي طالما سعى إليه الأعداء حتى حقّقوه. ولا يمكن للمسلمين أن ينهضوا إلا بوحدتهم أو اتحادهم على أقل تقدير.

ليس لبديع الزمان فعالية سياسية، كما لا يوجد أي دليل على أنه يؤسس طريقة صوفية، أو قائم بإنشاء أي جمعية، وإن موضوعات كتبه تدور كلها حول المسائل العلمية والإيمانية وهي تفسير القرآن الكريم

أما الإمام ابن باديس.. فذكر أن البداية للنهضة لابدَّ أن تكون من إحياء دور ورسالة المسجد، وقال: إنني عندما فسَّرت القرآن تفسيراً تربوياً في المسجد.. وهو تفسير (مجالس التذكير) نفختُ – بعون الله – في روح الشعب الجزائري.. حتى تحقق له النصر. وحارب المستدمر الفرنسي وجمع في مشروعه الإصلاحي بين الدين والاجتماع والسياسة، يتحرك في كل هذه المجالات دون مواربة أو تقاعس دفعة واحدة بدون إقصاء أي مجال، يدافع عن العقيدة الحصيحة وعن التعاليم الإسلامية السمحة، ينشر الفضيلة ويحث على طلب العلم ويرسخ القيم الوطنية (حب الوطن من الإيمان) ويعمّق وحدة الشعب بمختلف مستوياته، ويفضح أباطيل المحتل ومخططاتهم التغريبية التدنيسية لمقومات الشعب والأمة، ويدحض ترهات الطرقيين المبتدعين في الدين أما الإمام بديع الزمان سعيد النورسي كان يستعيذ من الشيطان والسياسة وركّز على أنه لا بعث إلا بالمزج بين العلوم الطبيعية والشرعية.. وقراءة القرآن بمنظور الإيمان والعلم معاً.. ومن ثم أشار إلى موسوعته (رسائل النور) ذات الأجزاء العشرة، والتي أنقذت الملايين من الإلحاد.. لاسيما بعد أن ابتعدت دعوته عن الصدامات السياسية والحزبية.. واشتغلت ببذور الإيمان.. لكن لماذا لم يكن لبديع الزمان النورسي الصدى والإشهار أو البهرجة الشعبية والجماهيرية محليا، اقليميا ودوليا مقارنة بالمصلحين والدعاة الذين عاصروه أمثال المودودي، حسن البنا، ابن باديس... على الرغم من أفكاره العميقة ومؤلفاته الضخمة ومشروعه النهضوي المتكامل؟ لا شك أن الأسباب تكمن في الظروف الجيوسياسية كما يقول علماء الإستراتيجية التي كانت سائدة آنذاك – بداية القرن العشرين ميلادي – التي عرفت سقوط الخلافة العثمانية (والذي كان يسميه الغرب آنذاك – تركيا – بالرجل المريض) وقيام الدولة التركية العلمانية على يد كمال أتاتورك سنة 1924 والذي ألغى فيه كل القوانين والأعراف والقيم والمعتقدات... وبدلها بالمنظومات الحياتية الغربية معرفيا واجتماعيا وسلوكيا وأخلاقيا... واحل محل ما هو إسلامي بما هو الحادي لا ديني. هذا الوضع ابعد الفئات الاجتماعية وبالأخص الشباب عن الدين والبسه لباس العبثية والمادية والدنيوية مكان لباس التقوى والعفة

والطهارة. هذا من جهة أخرى دعوته كانت ملازمة لمودة العصر آنذاك – انتشار النظرية الماركسية الشيوعية الملحدة – وانبهار الناس خصوصا الشعوب المستضعفة في العالم بالطروحات والأفكار التي نادت بها كالحرية، المساواة، ضمان

الحقوق، توفير المستلزمات والضروريات، تكفير الظلم والاستبداد والاستدمار كما يسميه المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم، التي لاقت استحسانا وتقبلا وتمسكا، بالمقابل الدين وما يحمله من توجهات وشرائع ومن يمثله من رجال ودعاة ووجه بالنكران والجحود في ظل الهجمة الإلحادية الشرسة التي شهدتها تركيا بالأساس، وما جابهه النورسي من ويلات واعتقالات من الحكام المستبدين. ثم انه كان يخاطب العقل، فهل يصبح للعقل مكان ودور في ظل النزعة المادية؟ والإنسان بطبيعته ميال للملموس والحسي وينفر عن كل ما هو روحي. هذه الوضعية التي شهدها العالم الإسلامي آنذاك شبيهة بالواقع الحالي – عالم العولمة والربيع العربي المشبوه – فهل الجماهير العربية الآن تسمع إلى صوت العقل الذي يمثله ثلة من الدعاة والعلماء كالعالم سعيد رمضان البوطي أم تجده يلهث وينصاع آليا أمام الأصوات التي تملأ القنوات الإعلامية والمنابر ضجيجا؟

ثم أن الدعوة النورسية في جوهرها تحمل مجموعة من التمثلات الفكرية والروحية موجهة إلى فئة معينة من الناس تحمل مجموعة من الخصائص الإيمانية العقيدية التقبلية، وليست موجهة إلى عامة الناس مما يجعل رواج فكرته في الأوساط الجماهيرية قليل مقارنة بالدعوات المستهدفة لكل الفئات. فكيف سيكون تعامل الناس مع الآية الكريمة: { واذا **رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} الجمعة11**، هذا في وقت الرسول المصطفى – عليه الصلاة والسلام – فكيف سيكون حال مستمعي إرشادات وتوجيهات النورسي؟ إذن الأمر يستدعي آليات ومناهج أكثر ترابطا وارتباطا واحتكاكا بالجماهير، واعتماد خطاب أكثر مرونة وبساطة يجمع بين الروحانيات والماديات ويقتفي الآثار السابقة ويستسبق الزمن مستقبلا بعيدا عن الخطابات الشعبوية الآنية المدغدعة للعواطف وقصيرة النظر والأفق. ولا ننكر أن ما يعيشه المجتمع التركي حاليا من نهضة على كل المستويات انطلاقا من الرجوع إلى الدين منذ الثلث الأخير من القرن الماضي

في الأوساط الشعبية، وصولا إلى تربع الأحزاب الإسلامية على سدة الحكم وعلى غالبية المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية... مرورا بالتطور الاقتصادي حيث أصبح الاقتصاد التركي يحتل المرتبة السادسة عشر عالميا لم يأت بالصدفة بل وليد بالأساس الدعوة النورانية

النورسية التي أشعت بفوانيسها على المجتمع التركي أولا والمجتمع البلقاني والشامي من ورائه. فلم تات النهضة بالصدفة، فهي نتيجة لتضحيات بديع الزمان في المقام الأول وتلامذته ومريديه ونفاذ أفكاره في أوساط المتعلمين فيما بعد عبر مؤلفه – رسائل النور – التي اتخذت من الآفاق البعيدة في رسمها متجاوزة النظرة الظرفية للأشياء والوقائع. وهم الذي نطق بالحكمة دهره كله وصدع بان ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همّة الطالب ويعلو كلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية. فرحمة الله الواسعة على روحه الطاهرة وجعله في زمرة النبيئين والصالحين والشهداء وحسن أولئك ورفيقا

**المصادر والمراجع:**

1- بديع الزمان سعيد النورسي " رسائل النور – مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان " ترجمة إحسان قاسم الصالحي – شركة سوزلز للنشر – مدينة النصر – القاهرة – مصر – الطبعة الثالثة ص 19.

2- من موقع:alminshawy.com /vb/thread1699 يوم 24 08 2012 على الساعة العاشرة ليلا.

3- نفس المصدر السابق.

4- النورسي " رسائل النور " ص80.

5-عبد الله الطنطاوي " منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي" –دراسة- الطبعة الأولى 1997 دار القلم بدمشق والدار الشامية في بيروت.

6- د.محمد عبد الحميد – أستاذ الفكر الإسلامي وتفسير القرآن الكريم بكلية علوم التربية – جامعة بغداد – العراق – من محاضرة القاها في نفس الجامعة سنة 1995.

7- بديع الزمان النورسي " رسائل النور"ص50.

8- النورسي، بديع الزمان سعيد، الشعاعات ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول 1993. ص135.

9- بديع الزمان النورسي – رسائل النور- المصدر المذكور ص48.

10- عبد الله الطنطاوي _ المرجع المذكور ص 108.

11- المصدر السابق ص 536.